النظريات الأخلاقية في مجال الطب

هناك مجموعة من النظريات الأخلاقية التي يتم تطبيقها في مجال أخلاقيات الطب ، وكلها تقريبا نشأت في الغرب واصطبغت بصبغة الفكر الغربي العلمانيه ، وهي وإن تقاطعت في بعض مبادئها مع الفكر الأخلاقي الإسلامي إلا أنها تختلف عنه إختلافا جذريا.

ودراستنا لهذه النظريات هي من باب العلم بالشيء أولا وثانيا ، لأنها أصبحت مرجعية لكثير من الدساتير الأخلاقية الطبية في العالم من حولنا .

وسنكتفي في هذه المحاضرة بعرض أبرز النظريات ودراستها دراسة نقدية مختصرة ، وسنتعرض لمقارنتها بالمبادئ الأخلاقية الإسلامية في محاضرة أخرى .

ونبدأ بتقييم موضوعي أساسي لهذه النظريات سطره فيلسوفان غربيان معاصران ونشراه في كتاب بعنوان " مبادئ الأخلاقيات الطبية الحيوية " وهما بو شامب وشايلدرس ، وهما من أعلام أخلاقيات الطب في عصرنا الحديث ، ويعد كتابهما من أهم المراجع الأساسية لدارسي أخلاقيات الطب في الغرب ، وقد خصصا الفصل الثامن من الكتاب لمناقشة النظريات الأخلاقية .

لقد وضع هذان العالمان شروطا أساسية لأي نظرية لكي يمكن إعتبارها نظرية أخلاقية ، وهذه الشروط هي :

1 ـ الوضوح

2 ـ الترابط المنطقي (الإلتحام والتماسك)

3 ـ الشمولية وإمكانية إدراكها .

4 ـ البساطة

5 ـ القدرة التفسيرية

6 ـ القدرة على التبرير

7 ـ القدرة على إيجاد نتائج ومخرجات

8 ـ أن تكون عملية (ممكن تنفيذها) عمليا

وبعد استعراضهما لمجموعة من هذه النظريات قرارا أنه لا توجد نظرية واحدة تتحقق فيها تلك الشروط.

أبرز النظريات في مجال أخلاقيات الطب

النظرية الأولى : نظرية المنفعة (Utilitarianism) تعتمد النظرية النفعية على نتائج العمل ومآلاته ، بحيث إذا كان العمل مؤديا إلى قدر أكبر من المنفعة لأكبر قدر من الناس فإنه يكون أخلاقيا ، ولو أدى ذلك إلى الإضرار بعدد محدود من البشر ، وهذه النظرية جاء بها بينثام (1748-1832م)

وقد تبدو هذه النظرية منطقية لأول وهله ، حيث أنها تسعى إلى تكثير المنافع وتقليل الأضرار قدر المستطاع إلا ان هذه النظرية يمكن أن تسمح بالعمل إذا كانت نتائجه نافعة حتى ولو لم يكن أخلاقيا في الأصل . إضافة إلى ذلك فإن المنافع التي تحدث عنها أصحاب النظرية هي اللذة والمال (السعادة) ، وأستدرك عليهم آخرون بأن هناك قيما أخرى مثل الصداقة والمعرفة والجمال والحرية قد تفوق قيمة اللذة والمال عند بعض الناس قد أهملتها هذه النظرية .

ومن هنا نجد أنه سينشأ خلاف كبير في تحديد المنافع ، ولمن تكون هذه المنافع عند تطبيق هذه النظرية وحدها .

فمثلا قديري أناس أن التخلص من العجزة وكبار السن في المجتمع يعد ذا منفعة كبيرة ، ومن هنا يرى أنه عملا أخلاقي حيث أنه يحقق منفعة للمجتمع ، ونحن نعلم يقينا أنه عمل غير أخلاقي . كما أنه قد تنشأ مشكله في التوزيع العادل للمنافع ، حيث سيتضرر أناس في المجتمع ومن ثم يتم إهمالهم .

النظرية الثانية : نظرية أخلاقيات الواجب (Oblegation or duty- based the any) أول من أسس لهذه النظرية هو الفيلسوف الألماني عما نويل كانت (1724 - 1804م) إعتمد على العقل وقرر عدم الإعتماد على الحواس لأنها كثيرة الخطأ كما ألغى دور الضمير ، والحدس والمشاعر كمصادر للحكم الأخلاقي وتتلخص نظريته في أن هناك مبادئ عليا يمكن للإنسان أن يدركها ويتصرف على أساسها وتكون هذه المبادئ مطلقة وغير قابلة للتغيير كما أنها عامة أو عالمية بحيث نطبقها في كل وقت وحين دون النظر إلى أي إعتبار آخر . ومن الجوانب القوية في هذه النظرية إحترام الآخرين بحيث لا نستخدمهم كوسائل في أي حال من الأحوال .

ومما يؤخذ على هذه النظرية أنها نظرية جامدة وغير قابلة للتطبيق في كل الأحوال ، كما أنها لا تراعي التصادم الذي يمكن أن يحصل بين الواجبات المختلفة ، ولا توجد حلا لهذه

المشكلة . كما أنها تفرض ضرورة تحديد الواجبات من حيث الأصل وإعتبارها في كل الأحوال ومما يؤخذ عليها أيضا إهمالها التام لنتائج العمل.

النظرية الرابعة : تطرية الحقوق الفردية وهي مؤسسة على حق الفرد في الحياة ، والتملك والحرية ، وحرية التعبير . والمشكلة في هذه النظرية أنها تغرق كثيرا في الحقوق الفردية مقابل حقوق المجتمع مما يخلق نوعا من الصراع والتصادم ، كما أن حقوق شخص معين قد تتصادم مع حقوق شخص آخر.

النظرية الخامسة : النظرية المجتمعية

وتؤسس هذه النظرية على مبدأ مفاده أن الذي يحكم ما إذا كان العمل أخلاقيا أم لا هو قيم المجتمع والتي تشمل اعتبار المنافع المجتمعية ، والأهداف المجتمعية والأعراف المجتمعية . وتتصادم هذه النظرية مع نظرية الحقوق والتي تؤسس على حقوق الفرد ، ومن عيوبها أنه من غير الممكن الإتفاق على القيم المجتمعية التي يرجع إليها .

النظرية السادسة : نظرية المبادئ الأربعة (The Four- Priniciple theoy) تعتمد هذه النظرية على أربعة مبادئ وهي كما يأتي:

1 ـ الذاتية أو الإستقلالية الذاتية (Autonomy)

2 ـ الإحسان أو المنفعة (Benificence)

3 ـ عدم الإضرار (Non – maleficince)

4 ـ العدل (Justice)

ويعني هذا أن العمل يكون أخلاقيا إذا تحقق فيه التوازن بين هذه المبادئ الأربعة

ويعني مصطلح الذاتية أن كل إنسان عاقل بالغ له الحق في اتخاذ القرارات التي تناسبه دون تدخل أو تأثير من أحد وله مطلق الحرية في ذلك فمن حق المريض البالغ العاقل أن يعرف ماهية الإجراءات الطبية التي سوف تجرى له وما هو تشخيص مرضه ، حتى وإن كان مرضا عضالا أو مميتا ، كما أنه لا بد أن يأذن للطبيب قبل إجراء أي عمل طبي له كما أن له أن يرفض أي إجراء طبي كذلك .

أما الإحسان (Ben,>>>>>) فمفهومه محدود بالمنفعة أو المصلحة التي تحقق للمريض ، فلا بد من التأكد من أن الإجراء الطبي ، مثلا ، سيحقق مصلحة للمريض ، وبالمقابل فإن مبدأ عدم الإضرار (Non-meleficenle)

يعني أنه يجب التأكد من أن الإجراء لا يحدث ضررا للمريض والا يصبح غير أخلاقي .

وأما مبدأ العدل فيقصد به أن يعامل المريض أو مجموعة المرضى بالعدل والمساواة فيما بينهم دون إنقاص حق شخص لحساب شخص آخر . وتلاحظ أن هذه المبادئ هي مبادئ عامة جدا ولا غبار عليها كمبادئ لكنها لا يمكن أن تفسر جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان.

وهكذا تتعدد النظريات وقد تتداخل أو تتصادم مع بعضها البعض ، ويصعب انتظامها في نظرية واحدة تتسق في رؤيتها وغاياتها.